شَرْحُ كِتابِ الرِّقاق

مِن صَحيحِ البُخارِي

أ. أناهيد السميري

اللقاء الثامن

ألقي في ٨ رمضان ١٤٣٥ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

أخواتي الفاضلات، إليكم سلسلة تفاريغ من دروس أستاذتنا الفاضلة أناهيد السميري حفظها الله، وفّق الله بعض الأخوات لتفريغها، ونسأل الله أن ينفع بها، وهي تنزل في مدونة (عِلْمٌ يُنْتَفَعُ بِهِ)

http://tafaregdroos.blogspot.com/#!/

تنبيهات هامة:

- منهجنا الكتاب والسنة على فهم السلف الصالح.

- هذه التفاريغ من اجتهاد الطالبات ولم تطلع عليه الأستاذة حفظها الله، أما الدروس المعتمدة من الأستاذة فهي موجودة في شبكة مسلمات قسم (شذرات من دروس الأستاذة أناهيد)

http://www.muslimat.net/

- الكمال لله عزّ وجلّ، فكتابه هو الكتاب الوحيد الكامل السالم من الخطأ، فما ظهر لكم من صواب فمن الله وحده، وما ظهر لكم فيه من خطأ فمن أنفسنا والشيطان، ونستغفر الله. .

والله الموفق لما يحب ويرضى.

ما تم دراسته من أبواب:

- مراجعة لماسبق من الأبواب والربط بين الأبواب:

العلاقة	عنوان الترجمة
مما يرقّق القلب أن يعرف الإنسان أن الله أنعم عليه بالصحة والفراغ ليغتنمها فيما خُلق له وهو عيش الآخرة	"الصِّحَّةُ وَالفَرَاغُ" "لاَ عَيْشَ إِلَّا عَيْشُ الآخِرَةِ"
الدنيا لا شيء في الآخرة	قال تعالى :﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ﴾ وفي الحديث: "«مَوْضِعُ سَوْطٍ فِي الجَنَّةِ، خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا"
كيف أكون في الدنيا؟	"«كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ»".
ما لذي يمنع من أن يكون الإنسان غريبًا في الدنيا؟	"بَابُ فِي الأَمَلِ وَطُولِهِ"
مع طول الأمل يبقى الإنسان يصل إلى أعمار لا يقطع فيها آماله! سنّ الأربعين: أول بداية قطع الآمال سنّ الستين: عمر إعذار الله للعبد	"بَابُ مَنْ بَلَغَ سِتِّينَ سَنَةً، فَقَدْ أَعْذَرَ اللَّهُ إِلَيْهِ"
لا يُفهم أن من بلغ الستين عامًا لا يقبل توبته! بل العمل الخالص في أي زمن يقبله الله عز وجل.	"بَابُ العَمَلِ الَّذِي يُبْتَغَى بِهِ وَجْهُ اللَّهِ"
رغم تقدم الإنسان في العمر لكن تبقى زهرة الدنيا تفتن الإنسان وحتى لو تقدم في العمر فالتنافس مع من حوله يسبب له نسيان ما هو مقبل عليه،	"بَابُ مَا يُحْذَرُ مِنْ زَهَرَةِ الدُّنْيَا وَالتَّنَافُسِ فِيهَا"
طول الأمل الذي يعيشه الخلق مع قلّة عودتهم إلى الطريق الصحيح سببه التنافس في الدنيا	"بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ، فَلاَ تَغُرَّنَّكُمُ الحَيَاةُ الدُّنْيَا، وَلاَ يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الغَرُورُ﴾ ثم أورد في هذا الباب حديث عثمان رضي الله عنه الذي فيه: "رَأَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَوَضَّأَ وَهُوَ فِي هَذَا المَجْلِسِ، فَأَحْسَنَ الوُضُوءَ ثُمَّ قَالَ: «مَنْ تَوَضَّأَ مِثْلَ هَذَا الوُضُوءِ، ثُمَّ أَتَى المَسْجِدَ فَرَكَعَ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ جَلَسَ، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ» لكن النبي بعد هذا الحديث
الإنسان في الحياة يحتاج أن يكون معه أهل الخير وأهل صلاح	"بَابُ ذَهَابِ الصَّالِحِينَ" وأورد فيه الحديث: "يَذْهَبُ الصَّالِحُونَ، الأَوَّلُ فَالأَوَّلُ

ما تم دراسته من أبواب:

مراجعة ما سبق

١١) بَاب قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "هَذَا الْمَالُ خَضِرَةٌ حُلْوَةٌ"..

١٢) بَاب مَا قَدَّمَ مِنْ مَالِهِ فَهُو له.

١٣) بَابُ الْمُكْثِرُونَ هُمُ الْمُقِلُّونَ.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

نسأل الله بمنّه وكرمه أن يجعل اجتماعنا هذا من الاجتماعات التي يُقال لأهلها قوموا مغفورًا لكم، وأن نكون ممن يذكرهم ربهم، ونسأل الله عزّ وجل أن يجعلنا من الشاكرين على هذه النعمة العظيمة وهي الاجتماع حول العلم في هذا المكان العظيم وأن نكون مباركين أينما كنا. اللهم آمين.

نحن نتدارس (كتاب الرقاق) من صحيح البخاري وقد مرّ معنا عشرة أبواب، ونحن الباب العاشر تدارسناه أمس واليوم إن شاء الله نعيد مراجعة الباب، لكن نبدأ من أول ما تدارسنا لنتذكر السلسلة التي مررنا عليها، لأنكم كما تعلمون أن صحيح البخاري ليس مجرد كتاب يجمع أحاديث إنما كتاب فيه فقه، وفقه البخاري في أحاديثه، يعني فيه علم يعرض عليك الحديث مع علمه والعلم غالبًا في أسماء الأبواب، فيجمع مجموعة أحاديث وأحيانًا يصدر الباب بآيات كأنه يقول لبيان هذا الأمر، يصدر الآية ويأتي بعدها بأحاديث فكأنه يقول هذا الحديث لبيان هذه الآية أو لبيان هذا المعنى، أو ماذا يجب علينا أن نفعل.

فالكتاب اسمه (كتاب الرقاق) والرقاق كما مرّ معنا جمع رقة، والمقصود رقّة القلب بعد العلم، يتعلّم الإنسان علمًا صحيحًا فيرقّ قلبه، وهذه الرّقة من أفعال القلب، واليوم إن شاء الله نتدارس صفة المؤمنين أنهم إذا ذُكر الله وجلت قلوبهم، فوجل القلب من رقة القلب.

ثم الكتاب عُقد ليجمع مجموعة أحاديث تحت الأبواب توصل الإنسان إن علمها علم اليقين إلى رقّة قلبه، فرقّة القلب ليست مجرد مشاعر تمرّ على الإنسان بدون علم إنما لابدّ أن يكون مصدرها العلم، يعني لما تتذكر هذا العلم يتحرك قلبك فيرق.

يتعلّم + يتذكّر = يرقّ قلبه

وليست مجرد عاصفة من المشاعر نتيجة أي اضطراب يمرّ به الإنسان، لأن الإنسان يمر باضطرابات كثيرة يرق بها قلبه، ثم تمر هذه الاضطرابات ويشبع بعد جوع ويكسى بعد عري فيذهب ما في قلبه من وجل أو ما في قلبه من مشاعر صحيحة، فالمقصود أن هذه الرقة مبنية على علم صحيح وليست على مجموعة عواطف ومشاعر مرّت عليه نتيجة فترة من الزمن أو حال من الأحوال مرت عليه.

لو مررنا على الأبواب سنتصور المسألة إن شاء الله.

الربط بين الأبواب:

في الباب الأول: "الصِّحَّةُ وَالفَرَاغُ ولاَ عَيْشَ إِلَّا عَيْشُ الآخِرَةِ" وتدارسنا تحته مجموعة أحاديث فكأنه يقول مما يرقّق القلب أن يعرف الإنسان أن الله أنعم عليه بالصحة والفراغ ليغتنمها فيما خلق له والبيان أن لا عيش إلا عيش الآخرة، يعني الصحة والفراغ التي وهبا لك المفروض تستثمرهم من أجل الآخرة، من أجل العيش الصحيح لأن "لاَ عَيْشَ إِلَّا عَيْشُ الآخِرَةِ".

ثم ليتبيَّن لك الدنيا التي أنت فيها قال: "بَابُ مَثَلِ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ" فذكر آية سورة الحديد: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ﴾ وذكر الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم: "مَوْضِعُ سَوْطٍ فِي الجَنَّةِ، خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا" إذن معنى ذلك أن الصحة والفراغ يغتنمان في عيش الآخرة واعلم أن الدنيا لا شيء في الآخرة.

كيف أكون في الدنيا؟! أورد البخاري باب قول النبي صلى الله عليه وسلم كما قال لابن عمر: "كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ".

ما الذي يمنعنا من أن نكون في الدنيا غرباء أو عابري سبيل؟ قال: "بَابُ فِي الأَمَلِ وَطُولِهِ" فالسبب الأمل الموجود في النفوس وطوله.

وفي هذا الباب أورد البخاري حديث النبي صلى الله عليه وسلم الذي رسم فيه النبي صلى الله عليه وسلم أجل الإنسان وأمله وكيف أن أمله يطول عن أجله، فالمقصود عش في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل بحيث أنك لا تتعلق بشيء، وهذا ترقي كأنك غريب وأعلى منها كأنك عابر سبيل، لكن المشكلة التي تمنعنا أن نعيش هذه المشاعر هي طول الأمل.

ثم أتى بباب أورد قطعة من حديث النبي صلى الله عليه وسلم: "بَابُ مَنْ بَلَغَ سِتِّينَ سَنَةً، فَقَدْ أَعْذَرَ اللَّهُ إِلَيْهِ" والمقصود أنه حتى مع طول الأمل يبقى أن الإنسان يصل إلى أعمار المفروض يقطع فيها آماله، وهنا تناقشنا أن الأربعين أول بداية قطع الآمال ثم يزيد إعذار الله عز وجل لخلقه بأن يصل الإنسان إلى الستين.

فالمطلوب منا أن نعيش في الدنيا كأننا غرباء أو عابري سبيل لكن الذي يفسد علينا هذه المشاعر هي طول الأمل وقد أعذر الله عزّ وجل لكثير من الخلق بأن أطال أعمارهم بحيث أنهم يصلون إلى قطع الأمل لكن المشكلة لازالت في حبّ الدنيا وهذا سيتبيَّن بعد ذلك.

لما أتى إلى "بَابُ مَنْ بَلَغَ سِتِّينَ سَنَةً، فَقَدْ أَعْذَرَ اللَّهُ إِلَيْهِ" أتى باب بعده على باب الحذر "بَابُ العَمَلِ الَّذِي يُبْتَغَى بِهِ وَجْهُ اللَّهِ" فكأنه يقول حتى لو بلغ الإنسان ستين سنة وعمل عملًا يقبله الله عز وجل من توبة أو غيرها فلا بأس الستين لا تضره، يعني لو بقي ستين عام غافل عن الله وبعد الستين آمن واتقى لابأس، يعني لا تفهم أنه قد أعذر الله إلى امرئ بلغه ستين عامًا يعني بعد ذلك لا يقبل توبته! لا بل العمل الخالص في أي زمن يقبله الله عز وجل.

لماذا الإنسان يبلغ مثل هذا العمر وهو لازال غير مستيقظ لآخرته؟

قال: "بَابُ مَا يُحْذَرُ مِنْ زَهَرَةِ الدُّنْيَا وَالتَّنَافُسِ فِيهَا" معنى ذلك رغم تقدم الإنسان في العمر لكن تبقى زهرة الدنيا تفتن الإنسان وحتى لو تقدم في العمر التنافس مع من حوله يسبب له نسيان ما هو مقبل عليه.

وهذه أكثر أزمة نعيشها أن نحاط بأشخاص قليلين في دينهم طامعين في الدنيا وندخل معهم في تنافس ولما نتنافس معهم ننسى ما وراءنا، لكن لما يجد الإنسان حوله بيئة جيدة تتنافس في الآخرة سيجد أن باب الآخرة واسع ولا مشاحة في باب الآخرة وباب الأعمال واسع والحمد لله رب العالمين لكن هكذا خلق الله الدنيا وهكذا ابتلانا بالناس، فالناس أحيانًا يكونون حولنا طيبين وأهل خير لكن نُبتلى بهم أنهم ينافسونا في شيء من الدنيا فننشغل عن آخرتنا ونخوض معهم في ذلك.

ثم أخبرنا أيضًا أن طول الأمل الذي يعيشه الخلق مع قلة عودتهم إلى الطريق الصحيح سببه التنافس في الدنيا هذا من جهة ثم عقد في الباب الثامن "بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ، فَلاَ تَغُرَّنَّكُمُ الحَيَاةُ الدُّنْيَا، وَلاَ يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الغَرُورُ}

ثم أورد في هذا الباب حديث عثمان رضي الله عنه الذي فيه: "رَأَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَوَضَّأَ وَهُوَ فِي هَذَا المِجْلِسِ، فَأَحْسَنَ الوُضُوءَ ثُمَّ قَالَ: «مَنْ تَوَضَّأَ مِثْلَ هَذَا الوُضُوءِ، ثُمَّ أَتَى المَسْجِدَ فَرَكَعَ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ جَلَسَ، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ» لكن النبي بعد هذا الحديث قال: «لاَ تَغْتَرُّوا» المقصود سبب أننا لا نعيش في الدنيا كأننا غرباء أو عابري سبيل خصوصًا مع تقدم أعمارنا أمرين:

الأمر الأول: أن فتنتنا زهرة الحياة الدنيا وهناك من ينافسنا فتنافسنا معه ولما نتذكر آخرتنا تأتينا أزمة أخرى أن هناك أعمال لو عملناها غفر الله لنا، فنبقى متنافسين في الدنيا نجري وراءها وكلما أحد ذكرنا بالآخرة أو تذكرناها في نفسنا قلنا لأنفسنا هذه أعمال الله يغفر لنا بها فحصل الاغترار!

كيف يطول أمل الإنسان مع أنه المفروض يعيش في الدنيا كأنه غريب أو عابر سبيل؟ يجتمع عليه أمرين:

أمر من جهة أن الدنيا مزينة في قلبه

ووجد من يتنافس معه في الدنيا، وفي شأن الآخرة لا يتنافس إنما يرضى بأقل الأعمال ويقول سيغفر الله لي.

ولذلك النبي صلى الله عليه وسلم قال «لاَ تَغْتَرُّوا» ، يعني بدلًا من أن تكون منافسته في الآخرة وزهده في الدنيا الأمر انقلب عليه، زهد فيما عند الله وزهده ليس زهد أنه لا يريد لآخرة أو لا يبحث عنها، بل حصل له اغترار، قيل له في الحديث الذي مرّ معنا لو توضأت فأحسنت الوضوء ثم أتيت مصلاك فصليت ركعتين لا تحدث فيها نفسك غفر لك، فاغتر الإنسان مع أن النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث قال: «لاَ تَغْتَرُّوا» يعني لا تظنوا أن كل من عمل هذه الأعمال أيًّا كانت حاله سيغفر له.

هذه الأعمال تحتاج إلى شروط كما مرّ معنا:

١. الإيمان

٢. والاحتساب

٣. أن لا تكون من الكبائر.

والمقصود أن يغفر لمن قبل عمله، فمن هذا الذي يستطيع أن يقول أنه قد قبل عمله؟!

ثم زاد الأمر بيانًا أن الإنسان في الحياة يحتاج أن يكون معه أهل الخير وأهل صلاح فأتى بباب: "بَابُ ذَهَابِ الصَّالِحِينَ" وأورد فيه الحديث: «يَذْهَبُ الصَّالِحُونَ، الأَوَّلُ فَالأَوَّلُ، وَيَبْقَى حُفَالَةٌ كَحُفَالَةِ الشَّعِيرِ، أَوِ التَّمْرِ، لاَ يُبَالِيهِمُ اللَّهُ بَالَةً» فهذا من سوء الأزمنة أنك تجد نفسك طويل الأمل وتجد الناس ينافسوك في الدنيا، تجد نفسك مفتون بالدنيا وتجد من ينافسك فيها، وتجد نفسك مغرور بشأن الآخرة، وأيضًا تجد حولك أفضل الناس هم أسوأهم عند الله!

يذهب الناس الصالحون الخيّرون ولا يبقى إلا حثالة الناس وحثالة الناس هؤلاء كلهم يكونوا قريبين من بعض في عدم عنايتهم بالآخرة وزيادة تنافسهم في الدنيا فيسوء على الإنسان الحال، كأنه يُقال لا يجد حوله أحد يكون حتى بمثابة القدوة أن ينظر إليه فينظر! وأن في زمانه هناك من يصلح وهناك من يترك، لأن كثير من الناس يستدلون على ضلالهم وتنافسهم في الدنيا بكلمة كل الناس يفعلون، كل الناس هكذا بيوتهم، ولماذا أكون شاذ عن الناس؟!و

الجواب عن ذلك ان يُقال: ذهب الصالحون! «يَذْهَبُ الصَّالِحُونَ، الأَوَّلُ فَالأَوَّلُ، وَيَبْقَى حُفَالَةٌ كَحُفَالَةِ الشَّعِيرِ، أَوِ التَّمْرِ، لاَ يُبَالِيهِمُ اللَّهُ بَالَةً» فإذا لم تطلب النجاة لنفسك هلكت مع كل الناس.

بعدها أتى فقال: "بَابُ مَا يُتَّقَى مِنْ فِتْنَةِ المَالِ" هذا الباب العاشر نعيده مرة أخرى..

"بَاب مَا يُتَّقَى مِنْ فِتْنَةِ الْمَالِ وَقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾"، والحديث: "تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ، وَالدِّرْهَمِ، وَالقَطِيفَةِ، وَالخَمِيصَةِ، إِنْ أُعْطِيَ رَضِيَ، وَإِنْ لَمْ يُعْطَ لَمْ يَرْضَ".

نبدأ في فهم النصوص.

أخبر الله تعالى عن الأموال والأولاد أنها فتنة لأنها تُشغل الناس عن الطاعة، قال الله تعالى: ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ﴾[1] أي شغلكم التكاثر، ولما قال ألهاكم كلكم التكاثر هذا دليل على أن الله فطر العباد على حب المال والأولاد، وكنا اتفقنا أنه فطرنا على حب المال والأولاد والمطلوب منا المجاهدة، يعني الصلاح والفلاح في الدنيا أن تجاهد ما ابتليت به من طباع، سيأتينا إن شاء الله كلام لعبد الله ابن عمر رضي الله عنهما يزيد الأمر بيانًا.

النبي صلى الله عليه وسلم قال في الحديث الذي أورده البخاري هنا عنوان الباب: "بَابُ مَا يُتَّقَى مِنْ فِتْنَةِ المَالِ" يتقى يعني مطلوب منك أن تقوم بعملية التقوى، يعني أنت مفطور مبتلى بحب المال لكن المطلوب منك التقوى، هذه التقوى هي المجاهدة الذي ستفعلها وأورد ما يدل على أن المال فتنة قال: ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ وأتى بالحديث الذي قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم قال: «تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ، وَالدِّرْهَمِ، وَالقَطِيفَةِ» ما معنى تعس؟ تعس بمعنى سقط والمراد أنه هلك. دعاء عليه، من هو هذا؟! سماه النبي صلى الله عليه وسلم عبد الدينار، يعني طالبه الحريص على جمعه، القائم على حفظه، فكأنه لذلك خادمه وعبده، يعني ليس هو الذي يتمتع به بل هو الذي يخدم المال فأصبح كأنه عبد له!

قال الطيبي: قيل خص العبد بالذكر

لماذا سماه النبي صلى الله عليه وسلم عبد الدينار؟

ليؤذن بانغماسه في محبة الدنيا وشهواتها كالأسير الذي لايجد خلاصًا، ولم يقل مالك الدينار ولا جامع الدينار

لأنه عبد! وصل إلى حدّ العبودية في انغماسه في الدنيا

لأن المذموم من الملك والجمع الزيادة على قدر الحاجة.

فالنبي صلى الله عليه وسلم ما ذمّ مالك الدينار ولا ذمّ جامعه وإنما ذمّ الذي سيكون عبد للدينار.

وقوله: "إن أعط منها رضي" يؤذن بشدة الحرص على ذلك.

فمدار رضاه كم ستعطيه، مدار علاقاته كم سيستفيد منها.

وقيل غيره: جعله عبدًا لهما لشغفه وحرصه على الدينار والدرهم، فمن كان عبدًا لهواه لم يصدق في حقه(إياك نعبد) فلا يكون لمن أتصف بذلك صديقًا.

يعني لا يكون صادقًا في دعواه (إياك نعبد) لأنه في الحقيقة كل همّه في الدينار.

والقطيفة هو الثوب الذي له خمل، والخميصة هو الكساء المربع.

يعني المقصود الدينار والدرهم هو النقد والسيولة والقطيفة والخميصة ما يلبسه الإنسان أو ما يجعله على الأثاث.

[1] سورة التكاثر

أيضًا مرّ معنا حديث: «لَوْ كَانَ لِابْنِ آدَمَ وَادِيَانِ مِنْ مَالٍ لَابْتَغَى ثَالِثًا، وَلاَ يَمْلَأُ جَوْفَ ابْنِ آدَمَ إِلَّا التُّرَابُ، وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ تَابَ» هنا تبيَّن لنا الطمع والحرص، طامع وحريص وأيضًا مستكثر، أين الاستكثار؟! أنه لو كان له واديان لابتغى ثالثًا، هذا الاستكثار بسبب الطمع والحرص.

مثله الحديث الثاني: «لَوْ أَنَّ لِابْنِ آدَمَ مِثْلَ وَادٍ مَالًا لَأَحَبَّ أَنَّ لَهُ إِلَيْهِ مِثْلَهُ، وَلاَ يَمْلَأُ عَيْنَ ابْنِ آدَمَ إِلَّا التُّرَابُ، وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ تَابَ».

مرّ في الحديث: "وَلاَ يَمْلَأُ جَوْفَ ابْنِ آدَمَ إِلَّا التُّرَابُ"

وفي الحديث الثاني: "وَلاَ يَمْلَأُ عَيْنَ ابْنِ آدَمَ إِلَّا التُّرَابُ".

وفي الحديث الأخير: "وَلاَ يَسُدُّ جَوْفَ ابْنِ آدَمَ إِلَّا التُّرَابُ".

يعني (جوف ابن آدم، وعين ابن آدم، وفاه ابن آدم) وليس المقصود عضو بعينه إنما المقصود كناية عن الموت، يعني الإنسان لا يصل إلى حد الامتلاء ولا يشبع إلا إذا انقطع عن الدنيا، يعني لا يشبع من الدنيا حتى يموت.

هذه الأحاديث كلها سبق وأن مررنا عليها لكننا نريد فقط أن نزيد زيادة في "وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ تَابَ":

في كل الأحاديث ختم الحديث: " وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ تَابَ" يعني الله يقبل التوبة من الحريص على المال كما يقبلها من غيره معناه أنه المفروض يتوب من حرصه على المال، يتوب من هذه المشاعر القلبية.

قيل وفيه إشارة إلى ذم الاستكثار من جمع المال وتمني ذلك والحرص عليه للإشارة إلى أن الذي يترك ذلك يطلق عليه أنه تاب.

انظروا لهذا الحرص في القلب لما يلح على النفس يحتاج توبة: " وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ تَابَ"

ويحتمل أن يكون تاب بالمعنى اللغوي وهو مطلق الرجوع أي رجع عن ذلك الفعل والتمني.

يعني يتوب عن أن يجمع المال ويتوب عن كثرة تمنيه، يعني يتوب عن:

- فعل البدن
- ويتوب أيضًا عن فعل القلب.

فعل القلب التمني، تمني جمع المال، هذه الخيالات التي تدخل على كثير من الشباب أنه يفعل ويفعل ويعيش ويشتري، هذا التمني كما هو وارد في الحديث حتى هذا التمني والتمني فعل القلب يحتاج إلى توبة: " وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ تَابَ".

قال الطيبي: يمكن أن يكون معناه أن الآدمي مجبول على حب المال وأنه لا يشبع من جمعه إلا من حفظه الله ووفقه لإزالة هذه الجبلة عن نفسه وقليل ما هم.

اتفقنا أن الإنسان أصلًا في الحياة كلها يعيش في صراع بين ما جبل عليه وبين ما يريده الله عز وجل، ولذلك لما نتذكر في سورة المعارج الله عز وجل أخبرنا عن شيء من طباعنا: ﴿إِنَّ الْإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا (١٩) إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا (٢٠) وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا (٢١) إِلَّا الْمُصَلِّينَ﴾ فالمصلون يعالجون ما وقع لهم من طباع و ما ابتلوا منها.

فمعنى ذلك: " وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ تَابَ" المقصود أن من جاهد نفسه وبذل جهده لإزالة هذه الجبلة يحفظه الله.

قوله: "حتى نزلت ألهاكم التكاثر" قال ابن بطال وغيره: قوله "ألهاكم التكاثر" خرج على لفظ الخطاب لأن الله فطر الناس على حب المال والولد فلهم رغبة في الاستكثار من ذلك ومن لزم ذلك الغفلة عن القيام بما أمروا به حتى يفاجئهم الموت.

يعني الذي يبقى على طبعه في الاستكثار سيبقى غافلًا إلى أن يلحقه الموت!

سنقول أن الله عز وجل زيّنه في نفوسنا وابتلانا به فالحل المجاهدة! والباب: "بَابُ مَا يُتَّقَى مِنْ فِتْنَةِ المالِ" يعني هذا عمل أنت تبذل جهدك من أجل تحقيقه.

وفي أحاديث الباب ذم الحرص والشره ومن ثمَّ آثر أكثر السلف التقلل من الدنيا والقناعة باليسير والرضا بالكفاف.

مرّ معنا وسيمرّ مرة أخرى مسألة العلاقة بالمال، كما قرأنا في تفسير الشيخ السعدي أنه قسّم الناس إلى قسمين في علاقتهم بالمال.

بهذا انتهينا من هذا الباب وسنبتدئ بالباب الجديد:

بَاب قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "هَذَا الْمَالُ خَضِرَةٌ حُلْوَةٌ"

وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾، قَالَ عُمَرُ: اللَّهُمَّ إِنَّا لَا نَسْتَطِيعُ إِلَّا أَنْ نَفْرَحَ بِمَا زَيَّنْتَهُ لَنَا، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ أَنْ أُنْفِقَهُ فِي حَقِّهِ.

كلام عمر رضي الله عنه سيزيد الأمر بيانًا بالنسبة لنا كيف تحصل عملية التقوى، هذه الآيات مرّت معنا وتناقشنا فيها لكن نعيدها ليبقى الأمر واضحًا إن شاء الله.

الباب فيه جملتان: جملة نبوية وجملة من كلام الله عز وجل.

بَاب قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "هَذَا الْمَالُ خَضِرَةٌ حُلْوَةٌ"

وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ﴾

هذا العنوان، وتحته:

قَالَ عُمَرُ: اللَّهُمَّ إِنَّا لَا نَسْتَطِيعُ إِلَّا أَنْ نَفْرَحَ بِمَا زَيَّنْتَهُ لَنَا، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ أَنْ أُنْفِقَهُ فِي حَقِّهِ.

ثم أتى هذا الحديث:

عَنْ حَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ، قَالَ: سَأَلْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَعْطَانِي، ثُمَّ سَأَلْتُهُ فَأَعْطَانِي، ثُمَّ سَأَلْتُهُ فَأَعْطَانِي،

ثلاث مرات، سأله من مال الفيء سأله من بيت مال المسلمين فأعطاه المرة الثانية الثالثة.

ثُمَّ قَالَ: ((هَذَا المالُ)) وَرُبَّمَا قَالَ سُفْيَانُ: قَالَ لِي ((يَا حَكِيمُ، إِنَّ هَذَا المالَ خَضِرَةٌ حُلْوَةٌ، فَمَنْ أَخَذَهُ بِطِيبِ نَفْسٍ بُورِكَ لَهُ فِيهِ، وَمَنْ أَخَذَهُ بِإِشْرَافِ نَفْسٍ لَمْ يُبَارَكْ لَهُ فِيهِ، وَكَانَ كَالَّذِي يَأْكُلُ وَلاَ يَشْبَعُ، وَاليَدُ العُلْيَا خَيْرٌ مِنَ اليَدِ السُّفْلَى)).

"وَرُبَّمَا قَالَ سُفْيَانُ" أحد رواة الحديث.

يعني إما قال النبي صلى الله عليه وسلم: «هَذَا المالُ»

وربما قال: «يَا حَكِيمُ»

إذن حكيم ابن حزام رضي الله عنه طلب المرة الأولى أعطاه النبي صلى الله عليه وسلم والثانية والثالثة ثم بيَّن له قال له: «إِنَّ هَذَا المالَ خَضِرَةٌ حُلْوَةٌ، فَمَنْ أَخَذَهُ بِطِيبِ نَفْسٍ بُورِكَ لَهُ فِيهِ، وَمَنْ أَخَذَهُ بِإِشْرَافِ نَفْسٍ لَمْ يُبَارَكْ لَهُ فِيهِ، وَكَانَ كَالَّذِي يَأْكُلُ وَلاَ يَشْبَعُ، وَاليَدُ العُلْيَا» التي تنفق «خَيْرٌ مِنَ اليَدِ السُّفْلَى» التي تطلب.

نعود إلى الآية.

﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ﴾

أخبر سبحانه وتعالى في الآية أنه ابتلى الناس بتزيين هذه الأمور، تزيينها في النفس يعني تصبح معجبة، النفس تميل إليها وتحبها وتفرح بوجودها، ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ﴾ ثم عدّ الله عز وجل لنا هذه الشهوات:

- النساء وهي أكثر ما ابتلي به الناس من جهة المحبة
- ثم البنين
- ثم المال القناطير المقنطرة من الذهب والفضة، لا يحبون المال لمجرد أنهم ينتفعوا به لكن القناطير المقنطرة يعني يحبون جمعه واستكثاره.
- وأيضًا مما يفتن الناس ﴿وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ﴾ التي تكون لاهية لقلب من وقع في قلبه عشق الخيل.
- ﴿وَالْأَنْعَامِ﴾ المقصود بها البهائم التي يأتي من ورائها إنتاج، فالذي يعايش هذه المسألة يعرف كم يقع الحب فيها لأنها لما تنتج وتكثر وتملأ العين فيصبح القلب متعلق بها خائف عليها لا يريدها أن تمرض ويدافع عنها.
- ومثله الحروث المزارع ما يزرعون، كيف يكون القلب متعلق بالزرع ينبت ويثمر وينزل المطر عليه.

هذا كله مما ينجذب القلب إليه فيشغل الإنسان، ولذلك مرّ معنا في السياق أن الله عز وجل يخبرنا بعد هذه الآيات أنه ينبؤنا بخير من هذا كله للذين اتقوا عند ربهم جنات تجري من تحتها الأنهار.

فالمقصود أن هذا التزيين ابتلاء واختبار للناس، ونبقى نعيد على أنفسنا هو ابتلاء واختبار والمطلوب منا أن نجاهد من أجل أن نصل، لكن عمر رضي الله عنه قال: "اللَّهُمَّ إِنَّا لَا نَسْتَطِيعُ إِلَّا أَنْ نَفْرَحَ بِمَا زَيَّنْتَهُ لَنَا، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ أَنْ أُنْفِقَهُ فِي حَقِّهِ"

سنقرأ القصة التي قال فيها عمر هذه الجملة لكن ماذا نفهم من كلام عمر رضي الله عنه؟

نفهم أنه ليس مطلوب منا أن نكون مثاليين لما نرى الخير لا تتحرك قلوبنا تجاهه ونفرح إنما المقصود أنه لما يأتي الخير وحتى لو حصلت هذه الحركة الطبيعية الموجودة في النفوس ماذا نفعل بعدما يحصل هذا الأمر؟ كما قال عمر رضي الله عنه: "اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ أَنْ أُنْفِقَهُ فِي حَقِّهِ" يعني لا نصبح رهناء له وعبيد له إنما مباشرة من الحركة الطبيعية التي تحصل في النفوس إلى التخلص منها ما استطعنا إلى ذلك سبيلًا.

والبعض يتصوّر أن المطلوب نفسه لا يقع فيها أبدًا أي ميل للدنيا ولا حب لها لا ليس هذا هو المقصود، فنحن خلقنا وقد ابتلينا لكن المطلوب لما يأتيك مثل هذا أن تجاهد ما استطعت إلى ذلك سبيلًا.

سنقرأ القصة التي أتى فيها كلام عمر رضي الله عنه.

عَنْ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ هُوَ الْأَنْصَارِيُّ أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ أَتَى بِمَالٍ مِنَ الْمَشْرِقِ يُقَالُ لَهُ نَفْلُ كِسْرَى فَأَمَرَ بِهِ فَصُبَّ وَغُطِّيَ

يعني أتاه مال من المشرق يقال له نفل كسرى، النفل كأنه الزيادة من أمواله، أو الذي كسبوه بعدما انتهى القتال معهم، كسرى المقصود هم أهل فارس من المشرق

فَأَمَرَ بِهِ فَصُبَّ وَغُطِّيَ ثُمَّ دَعَا النَّاسَ فَاجْتَمَعُوا ثُمَّ أَمَرَ بِهِ فَكُشِفَ عَنْهُ

يريد أن يوزعه.

فَإِذَا حُلِيٌّ كَثِيرٌ وَجَوْهَرٌ وَمَتَاعٌ فَبَكَى عُمَرُ وَحَمِدَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ فَقَالُوا لَهُ مَا يُبْكِيكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ هَذِهِ غَنَائِمُ غَنِمَهَا اللَّهُ لَنَا وَنَزَعَهَا مِنْ أَهْلِهَا،

هم يقولون له ما الذي يبكيك هذه غنائم وصلت لنا !

فَقَالَ: مَا فُتِحَ مِنْ هَذَا عَلَى قَوْمٍ إِلَّا سَفَكُوا دِمَاءَهُمْ وَاسْتَحَلُّوا حُرْمَتَهُمْ

يعني مثل هذا لما يفتح على أي قوم يحصل التنافس ويحصل الاقتتال وتحصل الأحقاد، يعني لما لا يكون عندهم يكونوا مكتفيين شرّ هذه المشاعر، وهذا سيتبيَّن لنا لما نبدأ بمطلع سورة الأنفال ويتبيَّن لنا في سورة الأنفال ماذا حصل بين الصحابة وكيف أن هذا المال إذا فتح على الخلق يحصل بينهم تنافس .

قَالَ فَحَدَّثَنِي زَيْدُ بْنُ أَسْلَمَ أَنَّهُ بَقِيَ مِنْ ذَلِكَ الْمَالِ مَنَاطِقُ وَخَوَاتِمُ فَرُفِعَ، فَقَالَ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَرْقَمَ: حَتَّى مَتَى تَحْبِسُهُ لَا تُقَسِّمُهُ، قَالَ: بَلَى إِذَا رَأَيْتَنِي فَارِغًا فَآذِنِّي بِهِ، فَلَمَّا رَآهُ فَارِغًا بَسَطَ شَيْئًا فِي حُشِّ نَخْلَةٍ ثُمَّ جَاءَ بِهِ فِي مِكْتَلٍ فَصَبَّهُ فَكَأَنَّهُ اسْتَكْثَرَهُ ثُمَّ قَالَ: ﴿اللَّهُمَّ أَنْتَ قُلْتَ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حب الشَّهَوَاتِ﴾ فَتَلَا الْآيَةَ حَتَّى فَرَغَ مِنْهَا ثُمَّ قَالَ لَا نَسْتَطِيعُ إِلَّا أَنْ نُحِبَّ مَا زَيَّنْتَ لَنَا فَقِنِي شَرَّهُ وَارْزُقْنِي أَنْ أُنْفِقَهُ فِي حَقِّكَ فَمَا قَامَ حَتَّى مَا بَقِيَ مِنْهُ شَيْءٌ!

يعني بعدما وزع أوله بقي منه شيء فحبسه وقال له من يخدمه أو من يعينه في قضاء شؤون المؤمنين إلى متى؟

فقال:

بَلَى إِذَا رَأَيْتَنِي فَارِغًا فَآذِنِّي بِهِ،

ذكرني به، المهم أنه وضعه وفرّغه من مكتل فكأن عمر رضي الله عنه استكثره ووقع في قلبه، فقال هذا القول:

اللَّهُمَّ أَنْتَ قُلْتَ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حب الشَّهَوَاتِ، فَتَلَا الْآيَةَ حَتَّى فَرَغَ مِنْهَا ثُمَّ قَالَ لَا نَسْتَطِيعُ إِلَّا أَنْ نُحِبَّ مَا زَيَّنْتَ لَنَا فَقِنِي شَرَّهُ وَارْزُقْنِي أَنْ أُنْفِقَهُ فِي حَقِّكَ فَمَا قَامَ حَتَّى مَا بَقِيَ مِنْهُ شَيْءٌ

يعني قد يطمع الإنسان بسبب وجود المال فلا ينفقه في حقه ولا يعطيه أهله، أو يوسوس له الشيطان أن استكثر منه وأبقيه تنتفع به إلى آخره.

إذن كلام عمر رضي الله عنه معناه أن كل الناس ابتلوا بأن يزين لهم حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة لكن الذي يُفلح هو من يجاهد ما استطاع ومن ثمّ ينفقه في حقه، وقد ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم أن الله عز وجل أنزل المال لتقام الصلاة وتؤدى الزكاة ويجاهد في سبيل الله كما ورد في أواخر سورة الحديد الخبر عن إنزال الحديد والخبر عن إعطاء أهل الدنيا ما معهم من الدنيا من أجل إقامة دين الله، لكن ابتلي الإنسان بحبها فصار هذا هو الصراع بين أني أتملك وأبقي وبين أني أتقرب وأنفق، ومن علم حقيقة الآخرة وعلم القضاء والقدر علم أن لا شيء كتب له سيتمتع به سينزع منه!

كل شيء كتب لك ستمتع به سيبقى لك! ستمتع به من اليقين وما تنفقه يقربك إلى الله.

نأتي لنفهم الحديث.

هذا حكيم ابن حزام صحابي معلومة صحبته بالنبي صلى الله عليه وسلم فطلب من النبي صلى الله عليه وسلم المرة بعد المرة المال، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ هَذَا المَالَ خَضِرَةٌ حُلْوَةٌ» وقد مرّ معنا سابقًا ان هذا المال خضرة حلوة يعني مثل ما ينبت الجدول، الجدول ينبت نبتة خضرة تبهج الناظر وحلوة يعني مذاقها لذيذ، تفتن من يراها، الذي يعرف مذاقها ويرى صورتها يفتن بها ويحرص على جمعها، وقد مرّ معنا تشبيه النبي صلى الله عليه وسلم لآكل هذا المال الخضرة الحلوة كالبهيمة لما تأكل مما ينبته الجدول، وكيف تأكل تأكل تأكل حتى تموت أو تكاد تموت، تموت حبطًا أو تلم تكاد تموت، فالذي يأخذ المال سيكون حاله نفس الحال.

ماذا نفعل إذن؟! نحن نحتاج المال والله زين حبه في قلوبنا، يعني عندنا مشكلتين:

مشكلة أن الأشياء لا تقضى إلا بالأموال فهل الشرع يأمرنا أن لا نتعامل بالأموال؟

والمشكلة الثانية أنه زين في قلوبنا حبه!

يعني المشكلتين:

- الحاجة إلى المال.
- والحاجة الثانية الحب والرغبة فيه.

والحل كما ذكر النبي صلى الله عليه وسلم:«فَمَنْ أَخَذَهُ بِطِيبِ نَفْسٍ بُورِكَ لَهُ فِيهِ، وَمَنْ أَخَذَهُ بِإِشْرَافِ نَفْسٍ لَمْ يُبَارَكْ لَهُ فِيهِ»

نفهم ما معنى طيب نفس وما معنى استشراف نفس

معنى الاستشراف.

- الاستشراف هو الطمع، مستشرف المسألة يعني طامع فيها، قد أكثر التفكير فيها بحيث أن نفسه أصبحت كالتي تطل من علو لهذا الأمر وتنتظره وتنتظره، فاستشراف النفس هو الطمع بكلمة مختصرة.
- في مقابل أن طيب النفس معناه أن عبدًا عفّ نفسه عن المسألة وصرف عقله عن الطمع وبذل جهده في الاتكال على الله.

فطيب النفس ما صفته؟

الأمر الأوّل: عفّ نفسه عن المسألة فلا يسأل.

والأمر الثاني: صرف نفسه عن المطامع، يعني لا تجده يفكّر فقط في الدنيا والمال إنما يقبل ويرضي نفسه دائمًا بالقضاء والقدر أن ما قسم لي سيأتيني ولذلك في آخر الحديث النبي صلى الله عليه وسلم قال: "وَاليَدُ العُلْيَا خَيْرٌ مِنَ اليَدِ السُّفْلَى" لأن طيب النفس ليست يده سفلى، الذي يأخذه بطيب نفس يده ليست سفلى بل يده عليا.

لماذا يده عليا بالرغم من أنه يأخذ؟ لأنه ما استشرف فالله يسوق له المال في حال تبقى يده عليا فيها.

مرة أخرى؛ هذا المال ابتلينا فيه بأمرين:

بالحاجة إليه، يعني لا نستطيع أن نقضي حوائجنا إلا بالمال. والأمر الثاني أننا ابتلينا بحبه.

فماذا نفعل معه؟ النبي صلى الله عليه وسلم وصف لحكيم ابن حزام الدواء «فَمَنْ أَخَذَهُ بِطِيبِ نَفْسٍ بُورِكَ لَهُ فِيهِ» السؤال ما طيب النفس؟ طيب النفس له صفات:

الصفة الأولى: أن يكون الإنسان ليس سائلًا إنما يعف نفسه عن المسألة فهو ليس كمن يرى أحدًا يشبّه فيه أنه يمكن أن يعطيه فيبقى يحكي له ظروفه وأحواله فهو عفيف من جهة السؤال.

الصفة الثانية: ليس بطامع، بمعنى أن المال لم يشغل تفكيره.

الصفة الثالثة: أنه راضٍ عن ربّه الذي يعطيه ويسوقه له من الخير واثق فيه، الذي يسوقه له من خيرات يأخذه والذي لا يساق يطلب العوض منه في جنات النعيم، هذا طيب النفس.

وهنا نريد أن ننبه تنبيه أن طيب النفس والمستشرف هذا يحصل حتى مع أولياء أمورنا، يكون الرجل عنده مال والمرأة تريد أن تنفق فيعطيها المرة ويعطيها الثانية ويعطيها الثالثة وهي لا ترى نفسها أنها طامعة وأنه عادي هذا زوجها لابدّ أن يعطيها ويعطيها ويعطيها فتدخل في هذا الحديث أن الإنسان أيًّا كان الذي سيمد يده له يقال له ما يأتيك بطيب نفس الله سيبارك لك فيه، وما يأتيك من جهة الاستشراف لم يبارك لك فيه.

الاستشراف يعني يطمع، يستشرف يعني ينظر إلى المال، يستشرف يعني ينشغل به، فلما تبقى المرأة طوال الوقت تقول أصلًا زوجي عنده لماذا لا يعطيني، أو يملك لماذا يبخل عليّ! مع أنه أعطاها المرة بعد المرة وقضيت الضرورة وقضيت الحاجة وقضي التوسع أيضًا لكن مع ذلك هي ترى أنه لابدّ أن يعطيها فلا يبارك لها فيه أولًا ثم يكون كالذي يأكل ولا يشبع، لأننا نتصور أن هذا الحديث فقط لشخص فقير ويأتي إلى غني ويأخذ منه، لا ليس الأمر كذلك، إنما حتى في نفس الحياة لما يكون هناك هذا الطمع لا يبارك للإنسان في حياته، لا يبارك له في ماله.

هذه المسألة تتصل بالضروريات والحاجات والتوسع أيضًا، وإن كان بخيلًا قد أذن في الشرع للمرأة إن كان بخيلًا أن تأخذ بعض اليسير من ماله من أجل الإنفاق على الضروريات والحاجات، لكن نحن لا نتكلم عن أنه بخيل إنما نتكلم عن الحالة الثانية وهي أن المرأة هي الطامعة والشرهة وتظن أن المفروض تستنفذه بناء على قواعد كثيرة قد وضعتها النساء في الحياة منها خذي ماله من أجل أن لا يتزوج عليك! خذي ماله من أجل أشياء كثيرة قائمة وضعناها لأنفسنا، هذا يدخل في هذا الحديث هذا لا يبارك لنا فيه، والذي يبارك لنا فيه ما نأخذه بطيب نفس، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "فَمَنْ أَخَذَهُ بِطِيبِ نَفْسٍ بُورِكَ لَهُ فِيهِ، وَمَنْ أَخَذَهُ بِإِشْرَافِ نَفْسٍ لَمْ يُبَارَكْ لَهُ فِيهِ، وَكَانَ كَالَّذِي يَأْكُلُ وَلاَ يَشْبَعُ، وَاليَدُ العُلْيَا خَيْرٌ مِنَ اليَدِ السُّفْلَى" فهذا كله في إطار الحياة أيًّا كان الطالب والمطلوب منه.

لما نقول أن الله عز وجل قد ابتلانا وزين لنا الحياة الدنيا والمال نحتاجه مع الزينة وحب المال لكن أيضًا نحن نحتاجه فماذا نفعل؟

سنقول: "فَمَنْ أَخَذَهُ بِطِيبِ نَفْسٍ بُورِكَ لَهُ فِيهِ، وَمَنْ أَخَذَهُ بِإِشْرَافِ نَفْسٍ لَمْ يُبَارَكْ لَهُ فِيهِ، وَكَانَ كَالَّذِي يَأْكُلُ وَلاَ يَشْبَعُ" هذه قاعدة، لا يُقال لك لا تأخذ المال أو لا تستعمل المال أو إذا مدّ لك المال لا تأخذه، ليس هذا الذي المقصود، أنت تكون سائر في حالك والله يرزقك من حيث لا تحتسب، لا يقال لك المال بنفسه ذنب، بل يقال لك لا تطمع فيه، ولا تشغل قلبك به، ولا تطلبه فتنكسر وتصبح ذليل بين يدي الناس إنما إن أتاك منه من غير استشراف نفس وأخذته بطيب نفس بمعنى أنك لم تطمع بما عند الناس بورك لك فيه وانتفعت به، والذي أخذته باستشراف نفس لا يبارك لك فيه وتكون كالذي يأكل ولا يشبع، من أجل أن لا يتصور أن الشريعة تأمرك بأن لا تستعمل المال، ليس بهذه الطريقة إنما المقصود لا تطمع، لا يشغلك، لا يصبح قلبك لا يفكر إلا فيه.

نأتي لصاحب المال:

بَاب مَا قَدَّمَ مِنْ مَالِهِ فَهُوَ لَهُ

عَنِ الحَارِثِ بْنِ سُوَيْدٍ، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((أَيُّكُمْ مَالُ وَارِثِهِ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ مَالِهِ؟))

يعني أيكم يحب أن يذهب ماله إلى وارثه أحب إليه من أن يستمتع هو بماله

قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا مِنَّا أَحَدٌ إِلَّا مَالُهُ أَحَبُّ إِلَيْهِ، قَالَ: ((فَإِنَّ مَالَهُ مَا قَدَّمَ، وَمَالُ وَارِثِهِ مَا أَخَّرَ))

الحديث واضح، المقصود من فيكم يحب أن يستمتع بماله من ورائه وهو لا يستمتع؟ كلهم قالوا لا يارسول الله، كلنا نحبّ أن نستمتع نحن بمالنا أحبّ إلينا من أن يستمتع غيرنا بمالنا، فبيَّن لهم كيف يكون الاستمتاع الحقيقي وكيف هو يستمتع ولا يكون مال للوارث يستمتع به.

"فَإِنَّ مَالَهُ مَا قَدَّمَ" يعني مالك الحقيقي هو الذي تقدمه بين يديك فتجده في قبرك، تجده يوم القيامة، تجده لما تلقى الله.

"وَمَالُ وَارِثِهِ مَا أَخَّرَ" يعني كل شيء حبسته سيكون في الحقيقة لست أنت الذي تستمتع به إنما يستمتع به وارثك.

المقصود لما تفكر في المال وحبسه فكر في الموت وفجأته واعلم أنك تقدم لنفسك خيرًا مما تحبس لغيرك، لكن هل هذا يناقض كون أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر والله عز وجل في كتابه أيضًا أمر بأن نبقي ورثتنا أغنياء؟

الجواب لا يناقضه، لأن بقاء ورثتنا أغنياء معناها منع الإنسان من التصدق بكل ماله، يعني لم يقال لك تصدق بكل مالك إنما اترك شيء لورثتك لكن لا تترك كل شيء لورثتك.

ونزيد الأمر بيانًا خصوصًا لمن كان لهم مورد شهري ويساق لهم أموال ويعلم أن هناك مثلًا عين يملكها مثل بيت أرض مزرعة بهذه الصورة ويأتي من ورائها وارد فالعين مادام هي محبوسة إذن العين ستبقى للوارث، فاجعل واردها منفق دائمًا، يعني لن تترك وارثك فقير إنما العين المحبوسة عندي كالمزرعة مثلًا كالماشية وعندي سيولة من العين المحبوسة بيت ويأتي من وراءه مثلًا

إيجار شهري فالعين المحبوسة تبقى للورثة وإما السيولة الباقية أنفقها، فأنت لم تترك ورثتك فقراء إنما لازال معهم مال لكن المال الذي يأتي في يدك السيولة أنت قدمه بين يديك.

إذن الحديث لا يعارض حديث أن تترك ورثتك أغنياء خير من أن تترك ورثتك أغنياء، فالمقصود لا تتصدق بكل مالك لكن تصدق بما تستطيع من المال وتسمح به نفسك وإن كان هناك عين أبقاها وإن كان هناك مال سيولة أنفق ثلثه وأبقي ثلثيه لا بأس، إذا لم يكن هناك عين وهناك مال فقط سيولة أنفق ثلثه على الأقل وأبقي الثلثين لورثتك.

على كل حال لابد أن يعلم أن المال ابتلانا الله به أعطانا الله إياه لإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة يعني إيتاء الصدقة والإنعام على النفس في المستقبل، فتنعم نفسك بمستقبل في القبر ومستقبل في الظلمة ومستقبل في الصراط ومستقبل لما تلقى الله ومستقبل لما تقترب الشمس من الناس، لهذا أعطانا الله عز وجل المال.

الباب الثالث عشر:

بَابُ الْمُكْثِرُونَ هُمُ الْمُقِلُّونَ

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾

عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: خَرَجْتُ لَيْلَةً مِنَ اللَّيَالِي، فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَمْشِي وَحْدَهُ، وَلَيْسَ مَعَهُ إِنْسَانٌ، قَالَ: فَظَنَنْتُ أَنَّهُ يَكْرَهُ أَنْ يَمْشِيَ مَعَهُ أَحَدٌ، قَالَ: فَجَعَلْتُ أَمْشِي فِي ظِلِّ القَمَرِ، فَالْتَفَتَ فَرَآنِي، فَقَالَ: ((مَنْ هَذَا؟)) قُلْتُ: أَبُو ذَرٍّ، جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ، قَالَ: ((يَا أَبَا ذَرٍّ تَعَالَهْ)) قَالَ: فَمَشَيْتُ مَعَهُ سَاعَةً، فَقَالَ: ((إِنَّ المُكْثِرِينَ هُمُ المُقِلُّونَ يَوْمَ القِيَامَةِ، إِلَّا مَنْ أَعْطَاهُ اللَّهُ خَيْرًا، فَنَفَحَ فِيهِ يَمِينَهُ وَشِمَالَهُ وَبَيْنَ يَدَيْهِ وَوَرَاءَهُ، وَعَمِلَ فِيهِ خَيْرًا)). قَالَ: فَمَشَيْتُ مَعَهُ سَاعَةً، فَقَالَ لِي: ((اجْلِسْ هَا هُنَا)) قَالَ: فَأَجْلَسَنِي فِي قَاعٍ حَوْلَهُ حِجَارَةٌ، فَقَالَ لِي: ((اجْلِسْ هَا هُنَا حَتَّى أَرْجِعَ إِلَيْكَ)) قَالَ: فَانْطَلَقَ فِي الحَرَّةِ حَتَّى لاَ أَرَاهُ، فَلَبِثَ عَنِّي فَأَطَالَ اللُّبْثَ، ثُمَّ إِنِّي سَمِعْتُهُ وَهُوَ مُقْبِلٌ، وَهُوَ يَقُولُ: ((وَإِنْ سَرَقَ، وَإِنْ زَنَى!)) قَالَ: فَلَمَّا جَاءَ لَمْ أَصْبِرْ حَتَّى قُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ، مَنْ تُكَلِّمُ فِي جَانِبِ الحَرَّةِ، مَا سَمِعْتُ أَحَدًا يَرْجِعُ إِلَيْكَ شَيْئًا؟ قَالَ: "((لِكَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ، عَرَضَ لِي فِي جَانِبِ الحَرَّةِ، قَالَ: بَشِّرْ أُمَّتَكَ أَنَّهُ مَنْ مَاتَ لاَ يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا دَخَلَ الجَنَّةَ، قُلْتُ: يَا جِبْرِيلُ، وَإِنْ سَرَقَ، وَإِنْ زَنَى؟ قَالَ: نَعَمْ قَالَ: قُلْتُ: وَإِنْ سَرَقَ، وَإِنْ زَنَى؟ قَالَ: نَعَمْ، وَإِنْ شَرِبَ الخَمْرَ)).

هذا من الأدب أن أبو ذر رضي الله عنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم يمشي في الليل وحده، وهو خرج فوجده يمشي فظن أن النبي صلى الله عليه وسلم لا يحب أن يكون معه أحد.

المقصود أنه حتى هذا مع ارتكاب الذنوب يأتي التوحيد فيكون سببًا لعدم خلود الإنسان في النار.

فالشاهد هنا في أن المكثرين هم المقلون يوم القيامة، يعني المكثرون من المال وجمعه هم القليل يوم القيامة

- المكثرون الأولى في الدنيا من جهة ⟸ المال
- هم المقلون يوم القيامة من جهة ⟸ الحسنات.

يعني مكثرين من جهة المال في الدنيا مقلون يوم القيامة من جهة الحسنات.

سنعيد الأمر على القاعدة التي مرت معنا لأنهم لم يفعلوا مثلما قال النبي صلى الله عليه وسلم فاستثنى النبي صلى الله عليه وسلم قال: " إِلَّا مَنْ أَعْطَاهُ اللَّهُ خَيْرًا" يعني المال، "فَنَفَحَ فِيهِ يَمِينَهُ وَشِمَالَهُ وَبَيْنَ يَدَيْهِ وَوَرَاءَهُ، وَعَمِلَ فِيهِ خَيْرًا"

وانظروا " نفح" هذه لفظة تأتي بالسرعة، كأنه فرق يمينه وشماله وبين يديه ومن ورائه، يعني لم يترك جهة إلا وقد أنفق فيها وعمل فيه خيرًا، هذا لن يكون مكثر في الدنيا مقل في الآخرة إنما سيكون مكثر في الدنيا ونفعه فكان مكثرًا أيضًا في الآخرة.

انتهى الدرس الثامن ولله الحمد